

## سفانة بنت حاتم الطائي

بقرب هجوم خيل المسلمين. وغادر منطقته إلى دومة الجندل الخاضعة للروم سياسيا. وفي هناك منتظرا للنتائج بينما قامت أخته بذلك أتوقف التشجيع فخلصت قومها وعادت محملة بهدايا رسول الله (صلى الله عليه وآته). وسألت عن الرجل الذي أشار إليها أن كلميه. فقيل علي بن أبي طالب. ثم عطفت عنان سفرها إلى حيث ذهب أخوها.

يقول عدي: هو الله إني لقاعد في أهلي إذ نظرت إلى ظمينة تصوب إلي تآمنا. فقلت: ابنة حاتم!! فإذا هي هي. فلما وقفت علي انسلحت تقول: القاصع الظالم احتلمت باهلك وولدت وتركت بنيتك والدك وعورته! قلت: يا أخية لا تقولي إلا خيرا فو الله ما لي عذر لقد صنعت ما ذكرت!

ثم نزلت فأقامت عندي فقلت لها: ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟

قالت: أرى والله أن تلحق به سريعا فإن يكن الرجل نبيا فالسابق إليه له فضيلة وإن يكن منكافا فنل هي عز التيم وإن أنت!! قلت: والله إن هذا للراي.

كانت نتيجة رؤية سفانة لخلق رسول الله ونجاة أهلها بفعل مؤمنها. وإكرام الرسول لهم كرامة لها. أن أشارت على أخيها بالعودة إلى المدينة. والاطلاع على الأمور عن قرب. فما أكثر العداوات القائمة على غير أساس. وليس لها من سبب غير سوء الفهم والبعد عن الحوار. بينما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالنسبة لعدي أشد الناس عداوة في زعمه وكان يكرهه أشد ما يكره أحد أجداد. فإذا يصبح بعد اللقاء والمعركة. المضي بالنفس والأهل والمال... وهكذا كثير من النزاعات.

لقد أسلم عدي بن حاتم كما أسلمت أخته سفانة. وجرى ما جرى بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله). ولا حظ لعدي وسفانة كيف كانت الأحداث تجري. وموافق كل طرف ونظر إليها نظر المتأمل... كيف يجري كل هذا؟ بعدما كان من رسول الله هي أمر الناس باتباع علي وأهل بيته (عليهم السلام). وكيف يعمل الحاكمون ما يعملون بعد ذلك الخطاب (من كنت مولاه فهذا علي مولاه)!

ورأت سفانة من أمير المؤمنين (عليه السلام) ما رأت حيث كان الطريق إلى نجاتها ونجاة قومها على المستويين من السبي. ونجاتهم بالاسلام. بعدما أشار إليها منكرا أن تكلم النبي (صلى الله عليه وآله). قد قصت هذا الأمر على عدي حين ذكر الحادثة وهديت أرضية انتمائه لأمر المؤمنين حتى إذا جاء ورأي قولاً أثر بعد عين. وعُد من السابقين الأولين إلى أمير المؤمنين (عليه السلام).

الأصول الطيبة لسفانة وأخيها. ومكارم الأخلاق التي ارتضعتا منها في ذلك البيت الكريم. كان من الطبيعي أن تنتج طيبا. وكرامة وشرفا. فقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام) علينا دور الأصول الطيبة في عبيدنا نال ذلك الأشتار (تم الصق بدوي الأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة. ثم أهل التجدة والشجاعة والسخاء والسماحة. فإنهم جماع من الكرم. وشعب من العرف).

امرأة استطاعت بشجاعتها وهمتها وبمعرفتها أن تقف قوميها ونفسها وأن تكون سببا في إيمان أخيها حتى بلغ ما بلغ.. فكيف حصل ذلك؟

كما انضوى المنسج على الأفق هجرا أحاطت خيول المسلمين بحي طي. وأحكمت (والعاديات ضيحا بالموريات قدحها) الطوق على ذلك الحي بعد أن (قيسطن به جمعها) وكان على الخيل صاحب السيرة علي بن أبي طالب.. فما هي إلا برهة حتى أسر الرجال والنساء. وسبق الجميع إلى مدينة رسول الله (صلى الله عليه وآله).

لما دخل أسارى طي. إلى المدينة وكانت سفانة بينهم. أعجب الحاضرون بجمالها وحسنها. حتى إذا تكلمت بذلك الكلام الفصيح. أنسجهم عذوبة كلامها. جمالها وشكلها.

جعل الأسارى في مكان منعزل قرب باب المسجد النبوي. فلما مر النبي (صلى الله عليه وآله) أشار إليها علي بن أبي طالب (عليه السلام) أن تكلم النبي. فتكلمت برباطة جأش. مع ما يفرضه حال الأسر على الرجل فضلا عن المرأة من الضعف. وقالت: أي محسنا.. مات الوائد. وغاب الواقد. فإن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي الأعداء. أو احببوا العرب. فأني ابنة سيد قوم. وأن أبي كان يحب مكارم الأخلاق وكان يطعم الجائع ويفند العاني ويكسو العاري. وما أتاه طالب حاجة إلا ورد بها.

فتألم النبي (صلى الله عليه وآله): يا حارية هذه صفات المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه. ثم قال النبي: أظفوها كرامة لأبيها.

ثم تكرر الشجاعة والبلاغة توأما يتيمنا لدى سفانة. بل كان فيها إضافة إلى ذلك التجدد والشهامة التي تشمل عديم قوميها. بحيث أنها لم تكن لتقبل بأن يطلق سراخها (وتتجو بنفسها بينما يقتر أبناء قومها في الأسر) فقالت: أنا ومن معي.

قال النبي: أظفوها من معي كرامة لها. ثم قال (صلى الله عليه وآله): أرحموا ثلاثا. وحق لهم أن يرحموا: عزيزا ذل من بعد عزه. وغنيا افتقر من بعد غناه. وعاملا ضاع ما بين الجهال.

ثم قالت سفانة: يا رسول الله أأذن لي بالنداء لك؟

قال النبي (صلى الله عليه وآله): نعم. فقالت: أصاب الله بيورك موافقه. ولا جعل لك إني تقيم حاجة. ولا سلب نعمة قوم إلا جعلك سببا لردعها. قال النبي: آمين.

ثم أمر النبي لها بإبل وغنم سدت ما بين الجبلين فعبعت من ذلك وقالت: يا رسول الله هذا عطاء من لا يخاف الفقر قال: هكذا أدبني ربي.

ثم قالت: أأذن لي بالذهاب إلى منازلتي؟ قال النبي: لا. أنت في ضيافتي إلى أن يأتي من بني عمومتك من تلقين به فمكثت في ضيافة النبي إلى أن أقيمت ذات يوم وقالت: يا رسول الله أقبل من بني عمومتني من أفق به. فأمر النبي أن يبيتوا لها هودجا جعل غشاه خزا مبطنا وسيرها النبي مع بني عمومتها.

كان لسفانة أخ هو عدي بن حاتم. يتعبد بالانصرانية وهو سيد قومه. لكنه هرب عندما علم

